سلسلة هكذا تحدث الدعاة والعلماء

# الشيخ أحمد القطان

# توجيهات مهمة للمرأة المسلمة

تعليق وإعداد

قسم الإعداد بدار الشريف

| الكتاب | توجيهات مهمة للمرأة |
| --- | --- |
| المؤلف | قسم الإعداد |
| الناشر | دار الشريف للنشر والتوزيع |
| حقوق الطبع | محفوظة للناشر |
| الطبعة الأولى | ٢٠٠٤ |
| المطابع | شركة الجزيرة العالمية للطباعة الحديثة |
| رقم الإيداع لسلسلة هكذا تحدث الدعاة | ٢٠٠٤/٥٨١٨ |
| الترقيم الدولي | I.S.B.N:977-6054-03-x |

# مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي وآله وبعد :

فهذا حديث إلى أخ لي حبيب . قد أراه في كل صـــف من الصفوف . قد أراه بين كل اثنين . . . أراه في كل مسلم رضي بالله ربا، وبمحمد، ﷺ نبيا ، وبالإسلام دينا . . .

أخ لي .. . . لم يســلم من أخطاء ســلوكية، وكلنا خطاء. . لم ينج من تقصــير في العبادة وكلنا مقصــر! ! . . ربما رأيته حليق اللحية، طويل الثوب ، مدمنا للتدخين ! ! . . بل ربما أســر ذنوبا أخرى ونحن المذنبون أبناء المذنبين ! ! .

نعم ! أريد أن أتحدث إليك أنت أخي حديثا أخصـــك به ، فهل تفتح لي أبواب قلبك الطيب ونوافذ ذهنك النير؟! ! . و الله الذي لا إله إلا هو إني لأحبك . . أحبك حبا يجعلني ... أشعر بالزهو كلما رأيتك تمشي خطوة إلى الأمام ! ! . .

وأشعر والله بالحسرة إذا رأيتك تراوح مكانك أو تتقهر ورائك !!. أحدثك حديثا اسـكب روحي في كلماته . وأمزق قلبي في عباراته . .

إنه أخي حديث القلب إلى القلب . حديث الـــروح للأرواح يسري وتـدركـه الـقـلوب بلا عنـاء. هل تظن أن أخطاءنا أمر تفردنا به لم نسبق إليه ؟! . كلا. .. فما كنا في يوم ملائكـة لا يعصـون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولكن نحن بشـر معرضون للخطيئة، يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم . وكل من ترى من عباد الله الصالحين لهم ذنوب

وخطايا. قال ابن مسـعود- رضي الله عنه- لأصـحابه وقد تبعوه : "لو علمتم بذنوبي لرجمتموني بالحجارة"، وقال حبيبك محمد، ﷺ : "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيسـتغفرون فيغفر الله لهم) والله أخي لقد أحرقتنا الذنوب ، والمتنا المعاصـي ولكن أيها الحبيب المحب أرعني سمعك يا رعاك الله ! ! . إن هذه الخطايا ماسلمنا منها ولن نسلم ، ولكن الخطر أن تسمح للشـيطان أن يستثمر ذنبك ويرابي في خطيئتك . أتدري كيف ذلك ؟ ! ! . . يلقي في روعك أن هذه الذنوب خندق

يحاصرك فيه لا تستطيع الخروج منه . . يلقي في روعك أن هذه الذنوب تسـلبك أهلية العمل للدين أو الاهتمام به . ولايزال يوحي إليك : دع أمر الدين والدعوة لأصحاب اللحى الطويلة! والثياب القصيرة! دع أمر الدين لهم فما أنت منهم ! ! .

وهكذا يضـخم هذا الوهم في نفسـك حتى يشـعرك أنك فئة والمتدينون فئة أخرى. وهذه يا أخي حيلة إبليسـية ينبغي أن يكون عقلك أكبر وأوعى من أن تمر عليك . فأنت يا أخي متدين من المتدينين . . أنت تتعبد لله بأعظم عبادة تعبد بها بشـر لله . أن تتعبد لله بالتوحيد. أنت الذي حملك إيمانك فطهرت أطرافك بالوضوء، وعظمت ربك بالركوع ، وخضعت له بالسـجود. أنت صـاحب الفم المعطر بذكر الله ودعائه ، والقلب المنور بتعظيم الله وإجلاله . فهنيئا لك توحيدك وهنيئا لك إيمانك . إنك يا أخي صـاحب قضـية . . أنت أكبر من أن تكون قضـيتك فريق كروي يكسـب أو يخسـر. . أنت أهم من أن تدور همومك حول شـريط غنائي أو سـفرة للخارج . . أنت أهم من أن تدور همومك حول المتعة والأكل . فذلك كله

صلى

ليس شـــأنك ، إن ذلك شـــأن غيرك ممن قال الله فيهم ﴿

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾

(محمد ١٢.)

أخي أنت من يعيش لقضـــية أخطر وأكبر هي : هذا الدين الذي تتعبد الله به. . . هذا الدين الذي هو سبب وجـودك في هذه الدنيا وقدومك إلى هذا الكون ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـدون ) . ( الـذاريات إن أود أن أذكرك مرة أخرى أن تقصـيري لا إياك في طاعة ربنا أو خطئي وإياك في سـلوكنا لا يحللنا أبدا من هذه المسئولية الكبرى ولا يعفينا من هذه القضية الخطيرة انظر يا رعـاك الله إلى هـذين الموقفين : وأرجو أن تنظر إليهمـا نظرة فـاحصـــة . وأن تجعلهمـا تحت مجهر بصـــيرتك : واسمع عن كعب بن مالك –رضي الله عنه– حيث وقع هذا الصحابي في خطا كبير، وهو التخلف عن رســول الله ﷺ . ولو ظللنا نتكتب عن ذلك ما وفينا الأمر حقه ولكن جعلنا الحديث

جامع بين ذلك وذاك فكانت السـلسـة هكذا تحدث الدعاة الهدف منها هو وضـع الطريق لجيل التمكين حتى يتمكن الإيمان من القلب فطوفنا على خطب العلماء وكتبناها وأضـفنا ما يمكن في باب مستقل حتى تعم الفائدة وجعلنا كل خطبة في رسـالة وكانت هذه الرسـالة موجهة لجيل التمكين وشـباب الصحوة فجرا الله العلماء خير الجزاء ونفعنا الله بعلمهم وجزاهم عنا خير الجزاء ..

واللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

**دار الشريف للنشر**

## خطبة الشيخ

# أحمد القطان

## نصيحة للأخوات

❁ بعض الناس  يقول إذا نصحته: يا هذا اترك الذنب وعد إلى مولاك الذي أعد لك الجنة، قال: إن الجنة بعيدة، دعني أتمتع في حياتي فإن آخر الحياة موت. وهذا المسكين يظن أن الجنة بعيدة بينها وبين المسلم ملايين السنين والعصور والأحقاب وما علم أن النبي ﷺ يقول: ((إن الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله)) .

والقرآن العظيم يقول: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ [ق:٣١].

والذي يقول غير بعيد هو الله.

واسأل بالجنة خبيراً وهو الله.

واسأل بها عليماً رآها بعينه وشمها بأنفه وذاق منها، محمدٌ رسول الله ﴿إنهم يرونه بعيداً ۝ونراه قريباً﴾ [المعارج:٦-٧].

وقرب الجنة أيها الأحباب لو حسبته بالمقياس الزمني بين موت الإنسان وبين دخول الجنان قد لا يصل إلى نصف ساعة، فقد أخبر النبي ﷺ أن العبد إذا مات وكان من المؤمنين فإن قبره روضة من رياض الجنة، وما بين موته وبين دفنه إلا دقائق معدودات، فهذه بشائر الجنة، روضة فيها الروح والريحان والنور والإحسان والبر والرضوان.

ينظر فيها إلى الحور والقصور والنور والزهور والطيور حتى أنه يستعجل ربه فيقول: ((رب أقم الساعة لأذهب إلى أهلي ومالي))، لا يريد أن ينتظر ثانية واحدة، وأين هذه الثانية؟ في بيتي في بيتك، إنها في روضة من رياض الجنة لأنه لما ذاق تلك الروضة وأصبح قبره مد البصر اشتاقت روحه حتى أصبحت لا تطيق المكوث في القبر لحظة، فأخذ يصيح ((رب أقم الساعة لأذهب إلى أهلي ومالي))، والملائكة تقول ليس الآن: ((نم في قبرك نوم العروس)).

ويأتي الحديث يقول: ((ما بين موت المسلم إلى بعثه في عالم البرزخ كصلاة ظهر أو كصلاة عصر)).

فكم أخذت صلاة الظهر منا؟ عشر دقائق، ومن بعثه ينقل على عرش الرحمن وظلله فيكون تحت العرش كصلاة ظهر أو كصلاة عصر، أضف عشر دقائق.. الوقت الزمني على الكافرين طويل.. ففي القبر والبرزخ تمتد الأوقات بالعذاب، وإذا كان يوم الحشر كان عليهم خمسين ألف سنة، وعلى ((المتحابين في الله)) أو ((شاب نشأ في طاعة الله)) أو ((إمام عادل)) أو ((رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله))، أو ((رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه))، أو ((رجل أنفقت يمينه ما لا تعلم شماله))، أو ((رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)). وأصناف وأقسام لا يعلمها إلا الله، هذه ليست للحصر وما يعلم فضل ربك إلا هو. . .

هؤلاء تحت ظل العرش كصلاة ظهر أو كصلاة عصر.

ومن يمل أو يحس بالوقت الزمني يوم أن يغرف له بأيدي النبي من الحوض النبوي، وعدد أكوابه بعدد نجوم السماء من شرب منها

شربة لا يظمأ منها بعدها أبداً، أو بأيدي الملائكة أو بأيدي المؤمنين أو بيده المتوضئة الطاهرة، من ماء يتدفق من نهر الكوثر

الذي حافتاه من قباب الفضة والذهب واللؤلؤ المجوف، وطينته من المسك الأبيض، فهو أحلى من العسل، وأبرد من الثلج يصب ميزابان من ذهب متدفق من أعلى الفردوس إلى حوض محمد ﷺ .

❁ وما بعد ذلك إلا الصراط، وهناك معظم أمة محمد ﷺيمرون على الصراط كالبرق أو كالريح الشديدة، أو كالجواد السريع، أو كطرف العين لأنه أمته أمة مرحومة، قال ﷺ: ((إن أمتي هذه أمة مرحومة جعل الله عذابها بما يصيبها من اللأواء)).

أي أن الله لا يقبض عبداً مسلماً موحداً عليه ذنوب إلا ويسلط عليه في الدنيا ما يمحص الذنوب من الهم والغم والمرض والبلاء، فيصبر ويحتسب فيقبضه وما عليه خطيئة واحدة، ثم بعد ذلك بعد محو الخطايا تبقى حقوق العباد...

يصلح الله بين العباد يوم القيامة، فلهذا لا تحملوا هموم الذنوب، وإنما احملوا هموم الحقوق المسلوبة والأعراض المنهوبة والأموال المسروقة، يوم تأتي الشاة القرناء فتنطحها الجماء لتمام عدل الله رب الأرض والسماء.

فالله يقول للعاصين في حقه: ((لو جئتني بملء الأرض خطايا لجئتك بملئها مغفرة، ولو بلغت ذنوبك عنان السماء لغفرتها لك ما استغفرتني ولا أبالي)) ، فاحذروا من ظُلم الناس.

وتجد المؤمن يوم القيامة على الصراط كالبرق كطرف العين كالجواد السريع، كالريح المرسلة، ثم بعد ذلك عند باب الجنة وعندها محمدٌ ﷺ أمسك بحلقتها يقعقع الباب بأصوات وأنغام لم يُسمع لها مثيل، لا تظن أن باب الجنة يفتح بجرس يضرب أو بحاجب يأذن لك ويوقفك بالساعات ذليلاً مهاناً كما يقف الناس على أبواب الملوك.

الجنة فيها رضوان يقول: من؟ يقول: محمد ﷺ، يقول: لك أُمرت أن أفتح، وتُفتح أبواب الجنة الثمانية فيدخل المؤمنون ومن أبوابها مسير أربعين عام .

أحبتي في الله:

إذا أصابك الهم والغم أو رأيت من زُخرف الدنيا ما يتطلع إليه قلبك فتذكر ما عند الله وما بيدي الله، يهون عليك كثيراً.

ذكر أن أحد الصالحين كان يمر على الفاكهة في السوق فلا يستطيعها فيقول: إن موعدكم الجنة، وهذا السلوك ليس بدعة، فهو من سنة محمد ﷺ يجهله كثيرٌ من الناس، فقد كان يمر على آل ياسر فلا يطعمون ولا يُسقون ولا يرتاحون يُصب عليهم العذاب صباً، فلا يملك أن ينصرهم في الدنيا فكان يقول لهم: ((صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة)) ، وأنا أقول للغرباء في زماننا هذا، أقول للدعاة المخلصين في سجون الطغاة الذين يُرفلون بالسلاسل والحديد، وأقول لكل أخت وأم وامرأة فقدت زوجها أو أخاها: اصبري فإن موعدك الجنة مهما طال ليل الظالمين، مهما احلولكت ظلماته فإن الصبح والفراج والفجر قريب ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ [ق: ٣١].

والجنة وما أدراك ما الجنة؟ استمع ما يقول عنها الحبيب ﷺ: ((لو أن امرأةً مما في الجنة أطلت بخمارها لملأت ما بين السماء والأرض عطراً وطيباً)) .

إذا دخلت قصور الملوك تشم روائح عجيبة لأن أطيب الطيب يُجلب إليهم، ولكن كم مداه؟ يملأ قاعة، كم سيدوم؟ يوماً، يومين، ما تقول بعبدٍ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، لخمار زوجته من الحور العين لو أطلت به لملأت ما بين السماء والأرض عطراً وطيباً.

إذاً من هم الملوك؟ ومن هم السلاطين؟! ألا إن ملوك الآخرة والسلاطين هم المؤمنون.

ولو أن رجلاً مما في الجنة بدا سواره الذي يلبسه في يده لطمس ضوءه ضوء الشمس كما تطمس الشمس النجوم في وضح النهار!!.

قدر قيمة هذا السوار في الدنيا ستجده أغلى من كنوز الدنيا وما فيها، إذن لا تتطلع لأحد غير الله، ولا تمد يدك إلى جبار أو طاغوت أو إلى أنذال الناس، والله أعد لك هذا، فاتق ربك حيثُ كنت، واعرف ربك بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. فلا تخضع إلا له، ولا تسأل إلا إياه، ولا تطلب إلا منه، إليه فوض وسلم وحاكم واحتكم، فالذي يعطيك سواراً يطفئ ضوءه ضوء الشمس أتخضع لغيره، أو تسأل غيره؟ معاذ الله.

يقول ﷺ: ((الجنة ترابها المسك)).

يقول ﷺ: ((للمؤمن في الجنة خيمةٌ من لؤلؤة عرضها ستون ميلاً في الفضاء، للمؤمن فيها أهلون لا يرى بعضهم بعضاً)).

ويقول ﷺ: ((في الجنة مائة درجة لو اجتمع كل العالمين في درجة واحدة لوسعتهم)).

سقفُها العرش، وما أدراك ما العرش؟ مخلوق كريم خلقه ربٌ كريم، ثم استوى عليه، لا إله إلا هو.

وإنني لأقول: يا أخي المسلم اصبر، اصبر، فإن الأمر أقرب مما نتصور فأنت تسمع أخبار المنقولين من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن سجن الدنيا إلى جنان النعيم.

انتقل إلى رحمة الله فلان بن فلان الذي أُذيع خبره أكان يظن أنه سيموت غداً أو بعد غد؟؟ لهذا إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وأعدّ للجنة عُدتها إنها والله سويعاتٌ ولحظات ثم تنتقل إلى نعيم لا يوصف، فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وعد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لترى كيف وصفها الله وكيف وصفها محمد ﷺ، وصدق الله: ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ [آل عمران:١٨٥].

اللهم نسألك الجنة ونعيمها.

إن لم يكُن هنا من يدافع عنك فإن الحورية في الجنة تدافع عنك، أخبر ﷺ: ((أيما مسلم تؤذيه زوجته في الدنيا إلا قالت زوجته في الجنة: لا تؤذه، إنه عما قليل مفارقك إلينا)) ، إنها تنتظرك، تأمل

أن يفارق التي تؤذيه إلى التي لا تؤذيه، والله سبحانه وتعالى يقول عن صفتها: ﴿قاصرات الطرف﴾ [الصافات:٤٨]. ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ [الرحمن:٥٨].

﴿قاصرات الطرف﴾ أي لا تنظر إلا إلى زوجها.

وعليك أن تتوهم يوم أن تدخل خيمة اللؤلؤة فتنظر فإذا بها حورية لا تلتفت إليها يميناً أو شمالاً إلا وجدتها تنظر إليك بحنان وشوق ومحبة ورأفة لا تطيق فراق النظر إلى وجهك، وعندما يأتي وصفها يصف بأجمل صفة الشفافية، شفافية الروح والجسد لأن الياقوت لو وضعت به شيئاً لرأيته من ورائه لأنه حجر كريم شفاف.

﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾، بالاحمرار الوردي الجميل.

يصفها الله كأنها ﴿اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة:٢٣].

بنعومة اللؤلؤة وبكارة اللؤلؤة وبياض اللؤلؤة ورقتها وجمالها، يا له من وصف إلهي عظيم لهذا أخبر الحديث: ((إن أكثر أهل الجنة النساء وأقل أهل الجنة النساء أيضًا)) .

وهذا شيء عجيب!...

كيف يكون أكثرها النساء وأقلها النساء؟.

أما أكثرها النساء، فإن الله خلق الحور العين في الجنة الشهيد له منهن اثنان وسبعون زوجة...

والمؤمن الموحد أدنى أنواع المؤمنين وهو آخر من يخرج من النار ويُطهر من الذنوب ويدخل الجنة له زوجتان من الحور العين غير زوجته التي في الدنيا، إذن أكثر أهل الجنة النساء...

أما أقلها النساء فهم نساء الدنيا، فقد أخبر النبي ﷺ قال: ((يا معشر النساء أُريت النار فوجدت أكثر أهلها النساء والأغنياء)) ، ويعني بهم نساء الدنيا، قالوا: ما بال النساء يا رسول الله، قال: يكفرن، قالوا: ـ يكفرن بالله ـ قال: ((يكفرن العشير، أي يكفرن الزوج، فإنك لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك سوءًا واحدًا لقالت: ما رأيتُ منك خيرًا قط)).

قال ﷺ: ((يا معشر النساء أكثرن من الصدقة، أكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار)) .

وبعض الشباب المسلم يأتيني يشكيني أهله يقول: يا أخي لقد كنت قبل أن يهديني الله وزوجتي تتمايل بجمالها ذات اليمين وذات الشمال، فلما تدينتُ وتدينت هي وضعت على نفسها الحجاب فلا تتعطر لي ولا تتزين لي، تستقبلني بفستان المطبخ وتظن أن الدروشة والقذارة من الدين، وإنني الآن عفيف متعفف، لا أنظر إلى ما حرم الله أبدًا، ولكني إذا عُدت إلى بيتي لا أجدُ ما يسرُ نظري أو أُذني.

وأنا أقول لكل امرأة تريد رفقة زوجها المسلم في الجنة اتقِ الله، والله الذي جعل خمار امرأة الجنة يملأ ما بين السماء والأرض عطرًا وطيبًا ذلك لكرامة هذا المؤمن على الله، لولا أن الله يحبه ما أعد له ذلك... فتعطري له في البيت وتزيني له، فإذا أردت الخروج إلى الأجانب فاغسلي ذلك...

والله الذي أعدَ للمؤمن سبعين حُلةً وفستانًا بسبعين لوناً تلبسه الحورية له، ذلك لأن الله يُحبه، وأن الله يُكرمه، فإذا أنتِ أحببتيه وأكرمتيه حُشرت معه يوم القيامة...

أين الأخت الداعية؟ التي تجعل مهرها الدعوة، وفستانها التقوى، وحُليها الأخلاق، أين الأخت الداعية التي تُحب أخًا داعية سيارة يحب الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، ويزيدون إذا نقص الناس، والنزاعُ من القبائل الذين جمعهم حبُ الدين وقرابة الإيمان، الفارون بدينهم، أين الأخت الداعية؟ التي تكون لزوجها أمًا في الحنان . وبنتًا في الطاعة . وأختًا في الدعوة، وحبيبةً في الفراش، وزوجة في الجنة، أين الأخت الداعية؟ التي تستقبله بابتسامة وتودعه بالدعاء، فإذا عاد إليها مشتاقًا همس في أذنيها.

**صلى الملائكة الذين تخّيروا والصالحون عليكِ بالأبرارُ**

يالها من همسة يهمسها الداعية عندما يعودُ إلى جنته المصغرة فيجدها تنتظره بشوق كما تنتظرهُ الحورية بشوق، وإن الأخت المسلمة لتملك السحر الحلال.

ولكن ماذا أقول لمن يأتيني يشتكي يقول: تأتيني تستقبلني بفستان المطبخ، وبثياب مملوءة بالزيوت كمحطة الغسيل وتنفخُ علي بفم فيه بقايا البيض والبقل والمكسرات ثم حموضة تفوحُ من العُنق، فإذا أحس المسكين بالاختناق وأراد الافتراق ونادى بالطلاق ذهبت وقد نست دينها وربما ذهبت إلى مشعوذ أو ساحر ليُعيد إليها الوفاق... وهي تملك السحر الحلال بلسمات إيمانية مشرقة.

قال ﷺ: ((الدُنيا متاع، وخيرُ متاعها الزوجة الصالحة التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك)).

اللهم إنا نسألك أن تحقق فينا نداءك في كتابك الكريم:

﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ [الزخرف:٦٨].

إنتهت الخطبة والتعليق من الدار الآتي

# الزوج حق

فإن الله فرض الفرائض والواجبات وبين الحقوق والأمانات وكلف بها المؤمنين والمؤمنات وجعلها شريعة لعبادة أجمعين وهذه الفرائض والواجبات لا سعادة للمؤمن إلا بالقيام بها وأدائها على وجهها حتى يكون ذلك أدعى لرضوان الله عنه قال-عزّ وجلّ - في كتابه المبين : { **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً** } حمل المؤمن الأمانة على ظهره والله سائله أسئلة عنها يوم القيامة بين يديه ومن هذه الحقوق والواجبات التي فرض الله على المؤمنين والمؤمنات حقوق الأزواج والزوجات جعلها الله أمانة في عنق كلٍ من الزوج والزوجة وحملهم المسؤولية هذه لحقوق أمر الله بها في كتابه المبين ، وعلى لسان رسوله المصطفى الأمين-

ﷺ - أمر الله بها من فوق ســبع سموات وأمر بها رســوله-ﷺ -
وأمر بها العلماء والصلحاء والأتقياء في كل زمان ومكان أمروا بها

لعلمهم أن سعادة البيوت الزوجية موقوفةً على أداء هذه الحقوق ورعاية هذه الواجبات وأنك إذا رأيت ذلك البيت المسلم الذي يحفظ فيه الزوج حق زوجته وتحفظ فيه الزوجة حق زوجها ويتقي الله كلٌ منهما في الآخر إذا نظرت عيناك إلى ذلك البيت المسلم الذي يقوم على أداء الأمانات والواجبات ورعاية الحقوق والأمانات رأيت السعادة في ذلك البيت المسلم ورأيت الطمأنينة ورأيت المودة والرحمة التي أخبر الله عنها في كتابه المبين .

كتب الله السعادة لبيوت قامت على رعاية الحقوق وأداء الأمانة كتب الله السعادة لكل زوج وزوجة يتقي الله –عز وجل– ويراقب الله فيما أوجب عليه وليس ذلك بغريب ؛ لأن طاعة الله –عز وجل– مظنة كل خير وبركة وسبيل لكل رحمة ونعمة ، ولذلك وعد الله كل مؤمن ومؤمنة قام بحقه وعده بالسعادة والحياة الطيبة كما قال –سبحانه وتعالى– : **{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً }** فأخبر الله –سبحانه وتعالى– أنه يكتب الحياة الطيبة لمن قام بحقوق الإيمان ومن ذلك أداء الأمانات والمسؤوليات وإذا ضيع الزوجان أو ضيع واحد منهما حقوق الزوجية وكان في جهل

أو تجاهل لهذه الحقوق تنكد العيش وتنغصت الحياة وأصبحت جحيماً لا يطاق يدخل الرجل إلى بيت الزوجية بقلب منكسر وفؤاد مجروح لا يسمع ما يرضيه ولا يرى ما تقربه عينه ، وهكذا المرأة تعيش قد ضاعت حقوقها وضيع مالها عند ذلك تكون الحياة الضنكة والعيشة المليئة بالشقاء التي وعد الله بها من تنكب عن سبيله وخرج عن هدي كتابه أن أداء حقوق الزوجين أمانه عظيمة ومسؤولية كبيرة كانت الأمة الإسلامية ترعى هذه الأمانات حينما كان الأباء والأمهات يقمن بالواجب تجاه الأبناء والبنات فلا يدخل الابن إلى بيت الزوجية إلا وقد عرف ماله وما عليه ولا تدخل البنت بيت إلى الزوجية إلا وقد عرفت ما لها وما عليها وقد رغب كلٌ منهما في القيام بما عليه وأدائه على وجه ورهب من تضيع ذلك لما حفظ الأزواج والزوجات وحفظ الأباء والأمهات مهمة التوجيه والعمل استقرت بيوت المسلمين ولما صارت العصور المتأخرة وصار الجهل متفشياً بين كثير من المسلمين إلا من رحم الله تجاهل الناس حقوق الزوجية وأصبحت الحياة الزوجية تسير بالأهواء وتسير كيفما يرد كلٌ من الزوجين عندها كثرت المشكلات وتبدد شمل الأزواج والزوجات وعظمة

المصائب والخلافات وجنى ما كان من وراءها من شر وبلاء الأبناء والبنات لذلك كان من الأهمية بمكان أن يعتني ببيان حقوق الزوجين وما ينبغي على كل منهما أن يرعاه تجاه الآخر وهناك أمران مهمان هما من أعظم الأسباب التي تعين على أداء الحقوق الزوجية ورعايتها والقيام بها على وجهها .

**أما الأمر الأول** : فتقوى من الله-عَزَّ وَجَلَّ - غيبتها قلوب الأزواج والزوجات فالتقي والتقية كلٌ منهما حر أن يقوم بالحقوق على أتم وجوهها وأكملها ، ولذلك قال رجل للحسن البصري : - يا إمام - عندي بنت لمن أزوجها ؟ قال : زوجها التقي فإنه إذا أمسكها برها وإذا طلقها لم يظلمها فإذا كان كلٌ من الزوجين في قلبه تقوى من الله-عَزَّ وَجَلَّ - وخشية ومراقبة لله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كان ذلك أدعى للقيام بالحقوق على وجهها وهذا ما يسمى بـــ ( الوازع الديني ) فإن الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قذف نور التقوى في القلوب وأصلح به ما يكون من الجوارح قال-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (( **ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** )) .

**أما الأمر الثاني** : فهو البيئة والقرناء فإن للبيئة أثراً كبيراً في الدعوة للقيام بالحقوق وانظر إلى كل زوج نشــأ في بيئة صــالحة تربي فيها على الكتاب والســنة واهتدى فيها بهدي الســلف الصــالح للأمه تجده حافظاً لحقوق زوجة قائم بما أوجب الله عليه في بيته وكذلك المرأة الصــالحة إذا رزقت بالبيئة الصــالحة كان ذلك خير معين لها للقيام بحقوق بعلها وهذان الأمران مهمان جداً لصـــلاح البيوت ولاصلاحها والقيام بحقوق الزوجين .

وسيكون حديثنا – إن شاء الله – في هذا المجلس المبارك عن حق الزوج على زوجته .

وهذا الحق ينقسم إلى قسمين :

**القسم الأول** : حق معنوي .

**القسم الثاني** : حق مادي .

فأما الحق المعنوي فإن الله–عَزَّوَجَلَّ – جعل للأزواج حق القوامة على الزوجات ولا يمكن لبيوت الزوجية أن تستقر وأن تقوم على الوجه المطلوب إلا إذا كان هذا الحق محفوظاً من المرأة لزوجها جعل الله في الرجل خصائص ليست في المرأة جعل فيه القوة والصبر والتحمل فهو أقدر على القيادة وعلى تحمل المسؤولية والإطلاع بالمهمات ، ولذلك فضل الله الرجال على النساء وكان من دلائل تفضيله أن جعل النبوة في الرجال وهي افضل ما يهب الله–عَزَّوَجَلَّ – ويعطي ، ولذلك قال العلماء : إن الله فضل الرجال من هذا الوجه لما جبلهم عليه وفطرهم عليه من القوة في الخلقة وهذا يقتضي من المرأة أن تكون تحت الرجل ولا يقتضي أن يكون الرجل تحت المرأة أو تحاول المرأة أن تكون مساوية للرجل ومنافسة له حق القوامة يقوم على أمرين مهمين :

**أحدهما** : تدبير الأمور والشؤون عن طريق الاجتهاد والنظر فالرجل هو الأحق بالنظر في الأصح والأقوم لبيته وأهله وولده .

**وأما الأمر الثاني** : فهو تطبيق ما رأي صلاحه وأداه إليه اجتهاده فهو أحق بهذين الأمرين وقد جعل الله-عَزَّوَجَلَّ - في الرجال من الخصائص في النظر والمعرفة ما ليس في النساء ؛ لأن الرجل يخالط أكثر من المرأة ولو خالطت المرأة الرجال فإن مخالطتها قاصرة مهما فعلت ومهما كانت ؛ لأن الفطرة لا تتبدل ولا تتغير يقول العلماء : حق القوامة حق توجيه وإرشاد وتعليم وليس بحق استبداد واستبعاد وقصر وقهر وأذية وإضرار وهذا الحق أشار الله إليه بقوله : **{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ }** فإذا كانت المرأة تعترف للرجل بهذا الحق وشؤون البيت تخضع فيها المرأة لرأي الرجل واجتهاده وتدبر من الرجل ولا يمنع أن يكون هناك حظ لمشاركة المرأة بالرأي استقامت الأمور ؛ لكن أن تحاول المرأة أن تتدخل في الصغير والكبير والجليل والحقير وأن يكون رأيها هو الذي يعمل به وهو الذي يفرض حتى إنها ربما تحاول أغراء زوجها بقبول رأيها فإن امتنع آذته ونكدت عليه ونغصت حياته وربما دفعت أولاده وأبنائه وبناته من أجل أن يعدل الرجل عن رأيه ويصبح رأيها هو الماضي هذا الحق حق القوامة إذا فسدته المرأة بهذه التصرفات تنكد

العيش وكان أول من يجنى سـوء العاقبة هو المرأة ، ولذلك أفسـاد المرأة لأبنائه وبناتها وأفسـادها على زوجها وتركها لهذا الحق وعدم قيامها به على وجه من أعظم المصـائب إذ يترتب على ذلك شعور الرجل بالنقص وشعوره بأنه ظلم وأنه قد أخذ حقه خاصة إذا أفسد عليه أولاده وأصبح لا يستطيع أن يبت في قضية ولا يبت في مسألة إلا وقد تدخلت المرأة وأضرت وأفسدت حتى ربما كره النظر في أموره ، وفي بعض الأحيان خاصـةً عند كبر الرجل قد ييئس الرجل ويترك زمام الأمور بسـبب أذية المرأة وأفسـادها عليه هذا الحق بقاءه والقيام به صـلاح للبيوت ذهابه وفسـاده دمار وشقاء ، ولذلك إذا عود تعودة المرأة على التدخل في شؤون الرجل اسـترجلت وبين النبي-ﷺ - عاقبة هذا الضـباع لهذا الحق بقوله : (( **لعن الله المسترجلات من النساء** )) فالمرأة التي تتدخل في شـؤون الزوج وتتقتحم في أوامره واجتهاداته ونظرة فيه شـي من الاسـترجال لا ترضـى أن تكون تحت الرجل وتريد أن تكون إما مسـاوية له ، أو تظهر أنها أعلم وأحكم وأكثر دراية وخبرة تفرع عن هـذا الحق وهو حق القوامة تفرع عليه لزوم الطاعة ، ولذلك يعتبره العلماء الحق الثاني فالمرأة مأمورة بأن تطيع الرجل

وأن تكون تحته وهذا هو الأصـــل لأن الله–ﷻ – فضـــل الرجل عليها ؛ ولكن بشرط أن يكون أمره ونهيه موافق لشرع الله–ﷻ – تفرع حق الطاعة فتطيع المرأة بعلها وتلتزم بما يأمر بها وينهاها عنه وهـذا هو الحق الثـاني من حقوق الرجـل على امرأتـه وأمر الرجـل لامرأته تطيعه فيه إن كان واجباً في واجب وفرض صار فرضاً آكد كأن يأمرها بشـيء من فرائض الله وقد أشـار الله إلى ذلك بقوله : **{ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّــلاَةِ وَاصْــطَبِرْ عَلَيْهَا }** فجعل الأمر للرجل وجعل له حق التوجيه لأمرته وأثنى على نبي من أنبيائه فقـال : **{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَـادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُـولاً نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّــلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِــيّاً }** فلابد للزوجة من أن تطيع زوجها .

ومن الأمور المهمة في الطاعة أن تطيعه في حق نفسه خاصة إذا دعاها لاعفاف نفسه عن الحرام وقد أشار النبي–ﷺ – إلى أن تقصـير المرأة في طاعة الرجل إذا دعاها لاعفاف نفسـه أنه يوجب لعنة الله لها قال–ﷺ – : (( **أيما امرأة دعاها زوجها إلى فراشـــه فأبت فبات غضباناً عليها باتت الملائكة تلعنها حتى تصبح** ))

متفق عليه فدل هذا على أنه لا يجوز للمرأة أن تعصى زوجها في أوامره وبالأخص إذا كانت في طاعة الله كالأمر بفرائض الله وفي خاصة نفسه كحقه في اعفاف نفسه عن الحرام .

ويستثنى من ذلك كما ذكر الفقهاء : أن يكون بالمرأة عذر يمنع أو لا تستطيع معه أن تقوم بحقه إذا دعاها إليه فإذا كانت مريضة ولا تستطيع ومرضها يضر بها كان من حقها أن تعتذر ومع ذلك يقول العلماء : ينبغي أن تتلطف وأن يكون اعتذارها بطريقة تشعره أنه أمر ليس بيدها .

كذلك أيضاً من حقه في الطاعة أن لا تخرج من البيت إلا بإذنه ، وقد أشار النبي-ﷺ - إلى هذا في قوله : (( **إذا استأذنت أحدكم امرأته المسجد فليأذن لها** )) قال العلماء : إذا كانت المرأة تريد الخروج للصلاة التي هي أعظم شعائر الإسلام بعد الشهادتين ولا تستطيع أن تخرج لهذه الفريضة إلا بإذن زوجها وسؤاله ذلك فمن باب أولى أن يكون لخروجها لأمور الدنيا ، وقد

نص العلمـاء على أنـه لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتهـا إلا أن يأذن لها زوجها وأنها إذا خرجت بدون إذن الزوج أو اعتادت

الخروج من دون إذن الزوج أن ذلـك يعتبر من النشـــوز ومن العصـيان والتمرد خاصـةً إذا واجهت الرجل بأنها حره في نفســها وأنها تفعل ما تشاء كأنها بذلك تعرض عن أمر الله بطاعتها لبعلها وتعرض عن شـــرع الله بالتزامها للقرار في بيتها فلا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها .

تفرع على ذلك المســألة الفقهية إن خرجت المرأة من بيت زوجها وبقيت في بيت أهلها بدون إذن الزوج سقط حقها في النفقة وقد أجمع العلمـاء-رحمهم الله- على أنها إذا امتنعت وبقيت في بيت أهلها وخرجت من بيت زوجها من دون إذنه وأصرت على البقاء بعيد عن بيتها ولم تعود أنه لا حق لها في النفقة .

كذلك أيضـاً من حقه عليها أن تكون أمينة حافظة لحقوق بعلها والأمانة صـــفة من أجل صـــفات المؤمنين وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي-ﷺ - أنه إذا كان يوم القيامة وضرب الصراط على متن جهنم أوتي بالأمانة والرحم فقامتا على جنبتي الصـــراط

قال بعض العلماء : لا يســـلم من الصـــراط خائن أمانة أو قاطع رحم فأمانة المرأة تستلزم منها أمور :

**الأول** : ألا تأذن لأحد أن يدخل بيت زوجها إلاَّ إذا كان الزوج قد أذن لها بدخول ذلك الداخل والمستأذن وقد أشار النبي-ﷺ- بقوله في خطبة حجه الوداع : (( **ولا يطأن فرشكم إلا من ترضون أي لا يأذن بدخول أحد إلى بيوتكم إلا من ترضون دخوله** )) فدل هذا على أنه لا يجوز للمرأة أن تأذن لأحد بالدخول إلى بيت زوجها وبعلها إلا أن يأذن لها الزوج بذلك ، ولذلك قال العلماء : إذا ضيعت المرأة هذا الحق لا تأمن سوء العاقبة لأنها إذا أذنت لرجل لم يأذن الرجل ( الزوج ) بدخوله فإنه لا تأمن أن يسيء ظنه بها وحينئذ يكون من المشاكل مشكلات ما لا يخفى يكون من المشكلات والعواقب والوخيمة ما لا يخفى .

كذلك أيضاً من حقه عليها قياماً لهذه الأمانة ورعاية لها أن تحفظ مال الرجل فلا تضيع المال ولا تسرف في الأنفاق فإذا أعطاها المال أو ائتمنها على أمواله ينبغي أن تكون الحكيمة الرشيدة التي تضع الأمور في نصابها ولا تضيع مال بعلها بأهوائها وشهواتها كذلك يتفرع عليه أن تحفظ حق الزوج في فراشه فلا

تخونه والخائن فيه نوع من الغدر لأن الزوج إذا أمن زوجته فقد وكل الله-جَلَّ جَلَالُهُ - رقيباً عليها ووكل الله حسيباً ومطلع على خافتتها فإن غدرت به وخانته فقد نكثت عهد الله الذي بينها وبينه مع ما فيه من عصـــيانها لله-عَزَّ وَجَلَّ - فينبغي للمرأة أن تحفظ فرجها ؛ لأن الله استرعاها أمينة على ماء الرجل وعلى عرض الرجل وعلى ذرية الرجل ، ولذلك إذا تساهلت واسترسلت أو فتحت على نفســها باب الفتنة ووقعت في الحرام أفســدت على الرجل ذريته وأدخلت عليه ما ليس من ولده يأكل من طعامه ويشـــرب من شرابه وينظر إلى عرضه ويرثه وكل ذلك بالباطل وبدون حق ولقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي-ﷺ - أنه لما رأى الرجل يريد أن يطئ المسبية في سبي أو طاس وهي حامل فقال-ﷺ - : (( **أيريد أن يغذوه في سمعه وبصره ؟** )) يعني هل يريد أن يطئ هذه الأمة المســـبيه وهي حامل من غيره فيغتذي جنينها في بماءه في سمعه وبصـــره أيغذوه في سمعه وبصـــره لقد هممت أن العنه لعنة تدخل معه في قبره .

قال العلماء : إذا كان هذا بعد التخلق واكتمال الجنين أو يكاد أن يكتمل لأنها قد حملت وليس الأمر فقط إلا باغتذاءه بالسمع والبصر فكيف بامرأة أخلت غريباً كلاً على رجل بكليته على رجل فهو أمر عظيم ، ولذلك أثنى الله من فوق سبع سموات على المؤمنات الحافظات القانتات فقال-ﷻ - : **{ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ }** فالمرأة إذا غاب عنها زوجها تحفظ عرضه وإذا استأذنت أن تخرج لمان تكون صادقة أمينة تراقب الله-ﷻ - وتحفظ عرض الرجل لأنها ضعيفة ولا تأمن أن تقع في الحرام بإغراء أو بفتنة خاصة إذا فسد الزمان ولا تأمن على نفسها فمن حق البعل على زوجته أن تحفظ له عرضه وأن تصونه من هذا الحرام .

وكذلك أيضاً من الأمانة أن تحفظ أسرار الزوج وأموره الخاصة ومن أسراره التي تكون بينه وبينها فإذا تحدثت بخاصة ما يكون بينها وبين بعلها فإن الله يمقتها ومما يوجب المقت أن يتحدث الرجل بما يكون بينه وبين المرأة وتتحدث المرأة بما يكون بينها وبين بعلها ولو أخذ ذلك على سبيل المزح ولو أخذ ذلك على سبيل

اللعب واللهو { **تَحْسَــبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ** } ، فالمرأة تحفظ هذه الأسـرار وتجعل نصـب عينيها الجنة والنار في جميع ما يكون من الأمور الخاصة بالزوج ثم تحفظ جميع ما تعرفه عن الزوج في أعماله وفي أقواله وأخلاقه وتصـرفاته خاصـة إذا ائتمنها على الأسرار لا يجوز أن تفشى سره والله حسيبها والرقيب المطلع عليها فيما تقول وما تخبر ومن الأخطاء التي يضيع بها بعض النساء حق الأزواج ويخن فيها الأمانة ويضيعن فيها هذا الحق أن المرأة إذا وقع بينها وبين زوجها أقل خصام أو شجار وذهبت إلى أهلها شاكية أفشت جميع ما تعرفه من الأسرار وتحدثت بعيوب زوجها وذكرت ما يكون من خاصـة أمره وهذا لاشـك أنه يعتبر من الآثام وعده بعض العلماء من كبائر الذنوب ؛ لأن خيانة الأمانة والتحدث بالأسـرار لا يجوز إلا عند الضـرورة فهذا من الحق الذي فرض الله على المرأة أن تحفظه وألا تفشيه وتبديه إلا بإذن صـاحبه أو وجد أمر شرعي يبيح أن تتحدث أو تخبر به .

ومن حقوق الزوجة على زوجها وهي الحقوق المادية الخدمة ، والمراد بذلك خدمة المرأة لزوجها فإن الله-عز وجل - فطر المرأة وخلقها وجعل فهيا خصائص صالحة للقيام بشؤون البيت وتدبيره ورعاية أموره فإذا قامت المرأة بخدمة بيت الزوجية كما ينبغي قرت عين الزوج ورضي زوجها وأحس أن بيته قد حفظ حقه ورعيت مصالحه فيرتاح وترتاح نفسه ، وقد أشار الله-عز وجل - إلى هذا من مجمل قوله : **{ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ }** أي على النساء حقوق كما أن على الرجال حقوق .

وللنساء حقوق كما أن للرجال عليهن حقوق بالمعروف، والمعروف إما أن يكون العرف كما يقول جماهير العلماء فيرجع إليه ويحتكم إليه فعرف الصالحين وعرف المسلمين في كل زمان ومكان أن المرأة تخدم بيت زوجها فانظر إلى أمهات المؤمنين كن يقمن على خدمة بيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم - في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- قالت : كن نعد لرسول الله-صلى الله عليه وسلم - سواكه وطهوره فيبعثه الله من الليل ما يشاء ، وفي الحديث الصحيح عن أم ميمونة-رضي الله عها- قالت :

وضعت لرسول الله-ﷺ - غسل فاتغتسل من الجنابة ، ولذلك أجمع العلماء على مشروعية خدمة المرأة لزوجها جماهير أهل العلم إلى من شذ وهو قول ضعيف على أن المرأة تخدم زوجها وتقوم على رعايته ؛ لأنه لا أفضل من أمهات المؤمنين وهذه بنت رسول الله-ﷺ - الكريمة بنت الكريم-صلوات الله وسلامه عليه-رضي الله عنها- فاطمة تخدم زوجها حتى أن يدها تقرحت بسبب طحنها للنوى-رضي الله عنها وأرضاها- .

قال بعض العلماء : إنها قد جلت يدها من كثر الطحن للنوى ، والنوى يكون علفاً للدواب فكيف بالقيام على حق الزوج حتى ذكر بعض العلماء أنها تقوم حتى بما يحتاج إليه من مركبة إذا جرى العرف بذلك ، كذلك أيضاً ثبت في الحديث الصحيح عن أسماء-رضي الله عنها- أنها كانت تخدم الزبير وكانت تخرج إلى مزرعته وتمشي أكثر من ثلثي الفرسخ وهي تحمل على ظهرها وهذا هو الذي عرف عن نساء المؤمنين وعرف في أزمنة المسلمين أن النساء يقمن بخدمة البيوت ورعايتها وأن هذه الخدمة لا تغض من مكانه المرأة ولا تنقص من قدرها ولكنها فطره الله التي فطر

الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، هذا الأمر الذي هو خدمة البيت قد يراه البعض شيئاً يسيراً أو شيئاً صغيراً ؛ لكن عواقبه الحميده على نفسية الزوج حينما يخرج وهو يشعر أن بيته قد قامت برعايته والعناية به زوجه فيدخل وقد هيأت له أمورة وارتحات نفسه واطمأن قلبه وكان أبعد ما يكون عن ما يشوش عليه أو ينغص عليه ويوجب وقوع المشكلات بينه وبين أهله فلما تنكب النساء عن هذه الفطرة السوية أصبحت بيوت المسلمين كأنها مهملة والرجل يدخل إلى بيته فيرى أموراً لا يسر بها الناظر ولربما أن الرجل بنفسه يقوم بكناسة بيته وغسل ثيابه وطهي طعامه حتى قال الإمام ابن القيم–رحمه الله– : فإن ترفهت المرأة وقام الرجل بكنس بيته وطهي طعامه والعجن والخبز فذلك هو المنكر أي ذلك هو المنكر الذي لم يأذن الله به ، فالمرأة تقوم بما فطرها الله عليه والرجل يقوم بما فطره الله عليه وليس من الفطرة أن الرجل هو الذي يخدم نفسه وهو الذي يقوم برعاية بيته . فإن قالت المرأة أخدم نفسك أو افعل ما تشاء فقد كبرت كلمة تخرج من فمها حينما تخرج عن فطرتها وتباً لها من امرأة تسيء إلى بعلها وتنتزع الرضا منه الذي يكون سببا في دخول جنة الله–عزّ وجلّ –

قال-ﷺ - : (( **أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة** )) .

فإذا أصبحت تحمله أن يقوم بأعباء بيته وتكون مترفة في البيت منعمة أو تطلب منه أن يأتي بمن يخدمه ويقوم عليه ولربما على وجه يوجب الفتنة له فذلك كله خلاف الفطرة ؛ لكن إن وجدت الأمور التي تضطر المرأة إلى أن تطلب من يخدمها فحينئذٍ لا حرج ، ولذلك جاءت فاطمة-رضي الله عنها- تسأل رسول الله-ﷺ - أن يعطيها خادم فقال-ﷺ - : (( **أولا أدلكما على خير لكم من خادم .. الحديث** )) فهذا يدل على أنه لا حرج أن تسأل لكن إذا وجدت الضرورة ووجدت الحاجة ، أما أن تسأل ذلك ترفها واستكباراً أو ظناً منها أنها ما خلقت لهذا أو أن هذا ليس من شأنها فهو خلاف فطره الله وخلاف العشرة بالمعروف التي ينبغي على كل مؤمنة أن تحفظها لبعلها هذه الأمور كلها أمور مهمة ينبغي على المرأة أن تحفظها لبعلها وعلى المرأة الصالحة أن تعلم أنه لا أكمل من شرع الله ، ولا أكمل من دين الله وأن من رضي بشرع الله-رضي الله عنه وأرضاه- وأنه فمنا سمعت من الدعوات أو

رأت من العادات من التقاليد والعادات مما يخالف شـــرع الله أو يتنكب عن فطره الله فإنه لا تأمن معه ســـوء العاقبة فمهما كان شـــيء طيباً في ظاهره لكن عواقبه وخيمة وما عليها لا أن تلتزم بهذه الأمور التي عرفتها في فطرتها وعرفتها في هدي الصالحات من ســلف هذه الأمة التي كن يقمن على رعاية العشــير وأداء حقه على الوجه الذي يرضى الله-جل وعلا- .

هذه الحقوق لا تســتطيع المرأة أن تقوم بها على وجهها إلا إذا هيئت من نفسها أموراً تتلخص فيما يلي :

**أولها** : أن تسأل الله-عز وجل - أن يعينها على الوفاء بحق بعلها وأن يعيذها من التقصير والإخلال بحقه ؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- رضي لها أن توفى لبعلها وكره لها أن تضيع حقه وتسأل الله وتكثر من الدعاء أن يعينها الله على حقوق بعلها .

**ثانياً:** أن تهيئ المرأة من نفسها العوامل النفسية للاستجابة لأوامر الله فتعلم أنها مأمورة وأنه مادام شرع الله يأمرها بطاعة الزوج وإعطاءه حق القوامة وأنها مطالبة بعشرته بالمعروف ومن المعروف خدمته واستئذانه عند الخروج وحفظ حقوقه وأماناته وأسراره إذا علمت ذلك واطمأنت بذلك فإنها ستستجيب بمقدار ما يكون فيها من الإيمان والظن بالمؤمنة أنها تستجيب لأمر الله ، ولذلك قال العلماء : إن الله صدر آيات الحقوق بقوله : { **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** } لأنه لا يستجيب لأمر الله على الكمال وأتم الوجه مثل المؤمن .

**الأمر الثالث** : على المرأة أن تعلم علم اليقين أنها إذا قامت بهذه الحقوق لا تنتظر مكافأة من الرجل ولا تنتظر جزاءً من الرجل ؛ ولكن ينبغي عليها أن تجعل نصب عينيها وأكبر همها وأعظم ما تطلبه رضوان الله–عَزَّ وَجَلَّ – عليها فما من مؤمنة تشعر أنها تطلب رضوان الله إلا وجدتها أخضع ما تكون لزوجها وقائمة بحقه على أتم الوجوه حتى حدث بعض الصالحين أنه رزق بامرأة لا تهنأ ولا تقر إلا بالقيام بحقه يقول حتى ربما أخطأت عليها

فتغير قلبي وأنا المخطئ فلا تبيت إلا وهي باكية تسـألني أن أسمح عنهـا وهـذا من قوة الإيمـان النفس المؤمنـة إذا زكـت وسمـت واستجابت لله طامت وأصبحت تحرص في جميع التصرفات وإلا حاسيس والمشـاعر والكلمات كيف تلتمس مرضـاة زوجها ليس هناك من غضاضة أن تخضعي للزوج وليس بنقص وليس بذله ولا بمهانة ؛ ولكنه والله كمال ورفعه وحســـن توفيق من الله–عَزَّوَجَلَّ – ليس ينقص والله كمـال للمرأة لأنها فطره الله التي فطر الله النـاس عليها وجبلهم على هذا فإذا كانت المرأة تشعر من نفسها أن هذا ليس بنقص ؛ وإنما هو كمال اســتجابت وارتاحت واطمأنت بل وبادرت وكانت قوية النفس للاستجابة لأمر الله–عَزَّوَجَلَّ – في القيام بهذه الحقوق كـذلـك على المرأة أن تهئ الأســـبـاب التي تعينهـا للاستجابة ومن أعظمها قراءة سيره الصحابيات ونسـاء السلف الصــالح لهذه الأمة وما كن عليه من حســن تبعل للأزواج والنظر فيما ورد في النصوص عن النبي–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من تحبيب المرأة للقيام بحق الزوج وترغيبها في ذلك .

كذلك أيضـــاً مما يعين المرأة على القيام بهذه الحقوق وأدائها على وجهها المطلوب حسن النظر في العواقب الحميدة في الدين والدنيا وكيف أن بيتها يستقر وأنها ترتاح وتطمئن ويرتاح زوجها ويطمئن بالقيام بهذه الحقوق ، والعكس بالعكس تنظر أيضـاً إلى العواقب الوخيمة للعكس أنها إذا ضيعت حق القوامة فإنه سرعان ما يشعر الزوج أنه ناقص وإذا شـعر بالنقص أخذ يكسـر حده المرأة والمرأة تستعلي والرجل يصر حتى لربما كسرها فطلقها -والعياذ بالله- أو لربما أقدم على ضربها حتى يشعرها أنه أقدر منها على القيام بهذه الحقوق ويقول بعض العلماء : قل أن تجد مشـكلة ضـرب فيها رجل لامرأته إلا وجدت المرأة فيها نوع ن الاسـترجال ، ولذلك ينبغي للمرأة أن تعلم أن تضييع الحقوق دائماً يأتي بأسوأ العواقب وأن الشـر لا يطفأ بالشـر والسـيئة لا تدفع بالسـيئة ؛ وإنما تدفع بالحسـنة فالتفكير في مثل هذه الأمور يعين المرأة على إصـلاح نفسها وإصلاح حالها مع بعلها .

ومن الأمور وهو آخر ما توصى به المرأة المسلمة عدم السماح للغير بالتدخل في شؤونها مع بعلها فإن بعض النساء يحرضن البعض بالتمرد على الزوج والعصيان له وعدم القيام بحقوقه فقرين السوء عواقبه وخيمة فتتقى المرأة التحدث مع النساء في أمور بيتها وخصائص ما يكون من حالها مع زوجها فذلك أدعى لسلامتها وحسن العاقبة لها .

# حكمة اباحة تعدد الزوجات

ان الله سبحانه بعث نبيه محمداً ﷺ بدين كامل وشرع شاف شامل ، قد نظم حياة الناس أحسن نظام في مجتمعهم وفيما بين أهلهم وعيالهم بالحكمة ومراعاة المصلحة والعدل والاحسان مبني على جلب المصالح ودفع المضار ، فهو عدل الله في أرضه ، ورحمته لجميع عباده . يقول الله : ( وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ) فهو دين الفطرة السليمة والطريقة المستقيمة قد نسخ جميع الشرائع ورفع الاصار والاغلال وأباح للناس الطيبات من الحلال ، ( قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده الطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ) .

فلا يشرع شيئاً من الاعمال والمباحات الا ومصلحته راجحة ومنفعته واضحة ولا يحرم شيئاً من المحرمات الا ومضرته واضحة ومفسدته راجحة .

فهو دين الكمال والنظام وشريعته منزلة على جلب المصالح ودفع المضار ، غير أن اعداء الاسلام قد شوهوا سمعة الاسلام والبسوه أثواباً من الزور والبهتان . فهم ينكرون كل ما ليس معروفاً عندهم ، وما ليس بمعهود في بلدهم فينكرون حكم الله في القصاص وفي قطع يد السارق واقامة الحدود الشرعية على الجناة لتقليل الجرائم ، ومنه انكارهم لتعدد الزوجات ( ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ) .

لكنهم عندما يبتلون بالكوارث وانتشار الفواحش من القتل والنهب والسرقة وهتك الاعراض وكثرة النساء الايامى اللائي ليس لهن ازواج ، فعند ذلك يندبون الاسلام ويقولون سلام الله على شريعة الاسلام التي تحكم بقتل القاتل وقطع يد السارق والقبض على ايدي الجناة وحتى اباحة تعدد الزوجات فقد رجع بعض عقلائهم إلى استحسانه بعد انكارهم له ، لانهم في هذه الازمان لما انتبهوا لمصالح نسائهم ورأوا البنات يجلن في الاسواق كالقطعان من الغنم كلهن او أكثرهن ايامى ليس لهن ازواج ، اخذوا يدعون قومهم وينادون باباحة التعدد بين الزوجات ، اذ هو خير من بقاء البنات ايامى طول الحياة .

ومثله الطلاق فقد كانوا ينحون بالملام على الاسلام في مشروعية الطلاق ، وعندما رأوا كثرة البغاء وعزوف الرجال عن الزواج الشرعي فراراً من مسئوليته ولأن القانون لا يمكنه من طلاقها متى ساءت العشرة بينهما فصاروا يفضلون التمتع بالمرأة على سبيل السفاح . فلأجله اضطروا الى الرجوع الى شريعة الاسلام فصاروا يوقعون الطلاق على أدنى سبب فتوسعوا في الاسراف فيه ، وصار احدهم يفضل العزوبة على تحمل مؤنة الزوجة ونفقتها ونفقة عياله منها ، ولا يزال الناس يرجعون بداعي الضرورة الى العمل بشريعة الاسلام لانها شريعة للناس اجمعين ورحمة للعالمين . فيعودون يعترفون للاسلام بفضله بعد ان شبعوا من ثلبه . فهم وان لم يطبقوا العمل به لكنهم يعترفون بصلاحية الحكم به في كل زمان ومكان .

ولا يزال الناس يحتاجون بداعي الضرورة الى الرجوع اليه في المشاكل العظام ، سيما عند ظهور الفتن في آخر الزمان التي تقضي بفناء الرجال وناهيك بمفاسد فتنة لبنان وكيف قضت بحصاد عشرات الالوف أو مئات الالوف من الرجال من سوى الجلاء الذي يؤول بهم الى الفناء مع قضائها على مشيد المنازل والعمران والفنادق

والقصور العظام والنهب والقتل وهتك الأعراض . وهذه الحروب هي مصداق ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعها في آخر الزمان حيث قال : ( تظهر الفتن ويقل العلم ويثبت الجهل ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ) كما في البخاري عن انس رضي الله عنه قال : ( لاحدثنكم حديثاً لا يحدثكم به أحد بعدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين ارمأة القيم الواحد ) .

ان الاسلام يجمع بين مصالح الدنيا والدين وبين مصالح الروح والجسد ليس بحرج ولا اغلال ولا يقيد عقل مسلم عن الحضارة ولا التوسع في التجارة المباحة والتمتع بأنواع الزينة المباحة يقول الله : ( قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ) والنساء هن من افضل زينة الدنيا ومن أفخر اللذائذ يقول الله ( زين للناس حب الشهوات من النساء ) والمزين هو الله . والنبي صلى الله عليه وسلم

قال : ( حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ) . رواه الامام احمد والنسائي في حديث أنس .

واقتضت حكمة الباري سبحانه ان يكون الرجل مستعداً للنسل ولو بلغ ثمانين سنة وان المرأة اذا بلغت الخمسين من عمرها يئست من الحمل والحيض وقيل خمساً وخمسين . ومن نظر بعين الاعتبار إلى التباين بين الرجل والمرأة يجد المرأة أكثر شغلا وتعباً من الرجل في الحياة المنزلية لقيامها بأعباء الحمل والولادة والرضاع وتربية الاولاد وشغل البيت من اصلاح الطعام وغيره من المتاعب التي تقتضي الحط من قوتها وصحتها حتى قيل : انه لن ينبت عمر الا وقد أكل عمراً . أضف الى ذلك انها قد تكون عقيماً وزوجها يحب ان تكون له ذرية ، وقد تصاب بمرض معد يقتضي بعدها عن زوجها وبعده عنها زماناً طويلاً .

لهذا صار الرجل في الاسلام يجوز له الجمع بين المرأتين والثلاث متى علم من نفسه القدرة على القيام عليهن بالعدل لما في ذلك من العون على العفاف وتكثير النسل المطلوب شرعاً وعرفاً والذي يباهي به النبي صلى الله عليه وسلم سائر الأنبياء ، وحتى يكون المسلمون بكثرة نسلهم أكثر عدداً من عدوهم فيظهر بذلك فضلهم وعظمتهم ، امام عدوهم كما قال تعالى : ( ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيراً ) فكثرة المسلمين خير من قلتهم مع ما فيه من حفظ النوع الانساني الذي يترتب عليه عمار الكون في الدنيا .

والتعدد فيه محاسن ومساوئ . فبعض الخواص من الناس قد شارك في موضوع التعدد لسبب يقتضيه . لكنه دخل فيه بعدل واعتدال وحسن سيرة وسياسة في الأهل والعيال فصار قرير العين به سليماً من الانكاد والاكدار وذلك ببركة العدل بين الزوجات . اذ ان حكمة الله فوق رأي كل حكيم . " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة " .

# حكمة مشروعية الطلاق

بما ان الله سبحانه قد شرع النكاح لعموم منفعته وشمول مصلحته التي أهمها بقاء النوع الانساني لما يترتب عليه من عمار الكون فكذلك شرع فسخ هذا النكاح عند وجود ما يقتضيه من وقوع الشقاق وعدم الوفاق او شدة كراهية الزوج لزوجته او كراهيتها له ، يقول الله : ( فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ) . والطلاق بغيض الى الله لما روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ابغض الحلال الى الله الطلاق ) رواه ابو داوود وابن ماجه وصححه الحاكم . وانما كان بغيضاً إلى الله من اجل أنه يسبب العداوة والبغضاء بين الاصهار ولما يعقبه من تشتت الشمل وانقطاع النسل بين الزوجين لكنه بمثابة الدواء الكريه المر يعالج به ما لا بد منه . لانه متى ساءت الطباع وفسدت الاوضاع بين الزوج والزوجة واستمر بينهما الشقاق وأعيت الحيل في الوفاق فما احسن الفراق اذا لم تلاءم الاخلاق فانه لا عيش ولا انس ولا سعادة مع شدة كراهية احد الزوجين لصاحبه وهذا يعد من محاسن الاسلام الذي جعل الله فيه للمؤمن

من كل ضيق فرجاً ومخرجاً ولم يجعل الزوجة الكريهة في نفسه حرجاً وغلا في عنقه لا تنفك عنه حتى يموت احدهما كزوجة النصارى ولهذا رجع النصارى مضطرين الى العمل بشريعة الاسلام في الطلاق ، ومن أجل منع القانون لوقوعه بدون سبب صار أحدهم يفضل العزوبة على تحمل مؤنة الزوجة ونفقتها ونفقة عياله منها ولا يزال الناس يرجعون بداعي الضرورة الى العمل بشريعة الاسلام لانها شريعة الله للناس أجمعين ورحمة للعالمين .فيعودون يعترفون بفضل الاسلام في مشروعيته بعد ان شبعوا من ثلبه والطعن في أحكامه فهم وان لم يطبقوا العمل بموجبه لكنهم يعترفون بفضله وصلاحية الحكم به في كل زمان ومكان .

# إزالة الشقاق بعملية الوفاق او الفراق

انها متى ساءت الطباع فسدت الأوضاع ثم ساءت النتيجة وقد جعل الله في الشريعة الاسلامية للمؤمن من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً . ونحن نعتقد ولا شك بأن الشريعة الاسلامية عدل الله في ارضه ورحمته لعباده وقد اباحت الزواج باربع نسوة متى علم من نفسه القدرة التامة على القيام بالعدل والكفاية في النفقة وسائر الواجبات الزوجية ، وذلك في وجوب القسم في الدخول والمبيت والنفقة الواجبة بخلاف ميل القلب بالمحبة وما يستدعيها من الشهوة الجنسية فانها لا تدخل في مسمى القسم لانها ليست من امكانية الشخص كما قال تعالى : ( ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولوحرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ) سميت معلقة لكونها لا ذات زوج ولا مطلقة . وكان النبي ﷺ يقسم لنسائه ويعدل ويقول : ( اللهم هذا قسمي فيما املك تلمني فيما لا املك ) ، يعني القلب ودواعيه .

وكان النبي في حالة مرضه يحمل الى منزل كل امرأة من نسائه وكان يقول : اين انا غداً . يريد يوم عائشة فاذن له ازواجه ان يمرّض في بيت عائشة فكانت تقول : توفي رسول الله بين سحري ونحري .

أما اذا لم يستطع اعطاء كل واحدة منهن حقها اما لفقره او لعجزه عن المباشرة الجنسية او عدم عدله في قسمه ونفقته الواجبه . فان تنازلت إحداهما عن حقها من ذلك فهو صحيح ويسقط حقها باختيارها متى خيرها زوجها على البقاء معه بدون قسم او الطلاق فان اختارت البقاء بدون قسم فلا بأس اذ القسم من حقها ولها اسقاطه للمصلحة الراجحة من استدامة بقائها في عصمته بدون قسم فقد وهبت سودة قسمها لعائشة . فكان النبي يقسم لعائشة رضي الله عنها يومها ويوم سودة .

أما اذا طالبت بحقها من ذلك كله فانه يحكم لهابه وعند امتناعه يعتبر ظالماً لها بحيث تستحق الفسخ من عصمته بطلبها .

فاذا لم يستطع اعطاء امرأة منهن ما تستحقه من النفقة الواجبة أو المباضعة او عدم قسمه لها فانها تعتبر الحالة هذه اسيرة تحت قهره وظلمه لكون الرجل لا يستحق استدامة القوامية عليها الا بالنفقة عليها مع قيامه بسائر واجباتها يقول الله : ( الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ) .

ولما كان من حالة عيش النبي ﷺ ما هو معروف من القلة فكان يمضي عليهم الشهر والشهران وما اوقد في بيت من بيوته نار فاجتمع نساءه يطالبنه بالنفقة عالية اصواتهن عليه فسمع عمر أصواتهن وزجرهن وقال : " يا عدوات اتهبني ولم تهبن رسول الله ﷺ " فانزل الله سبحانه آية التخيير : ( يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ) فقلن كلهن : نريد الله ورسوله والدار الآخرة ولن نعود الى المطالبة بالنفقة بعد اليوم .

وفيه دليل على جواز مطالبة المرأة بالفسخ عند قطع النفقة عنها بلا سبب يوجبه منها وكونها تجب اجابتها الى ذلك لكونه لا يستحق القوامية عليها الا ببذل النفقة التامة ، فمتى كان هذا التخيير النازل في القرآن وقع في حق الرسول مع زوجاته ، مع العلم بواسع عذره من عوزه وقلة موجوده ، فما بالك بمن قطع نفقته عن زوجته اضراراً وعناداً أفلا تستحق المطالبة بفسخ نكاحها واجابة دعوتها في تخليصها من عصمته اذ لا حق له في استدامة نكاحها اذ هذا من الضرر الذي يجب ازالته .

أما اذا اتصف بالجنف ومال الى واحدة دون الأخرى فانه ينهدم نظام منزله وتسوء معيشة عائلته ويحتقب افراد عائلته العداوة له ، ثم العداوة من بعضهم لبعض فيتبدلون الألفة بالنفرة والمحبة بالبغض كله من اجل الجنف الذي عامل به احدى نسائه على الأخرى وانه عندما يشتد النزاع ويستمر الشقاق ويتعذر الوفاق بينهما فقد جعل الله لهن سبيلا ، فقد انزل الله آية التخيير في حق الرسول مع زوجاته امهات المؤمنين ثم انزل الله ( وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما

) وهذان الحكمان يريدان الاصلاح من الوفاق والانفاق او الفراق فهما حكمان مستقلان بنص الكتاب بحيث يقرران الفراق عند تعذر الحيلة في الوصول الى الوفاق ، او يقدمان اقتراحهما الى القاضي ويحكم بتنفيذه سواء كان على عوض مالي او بدون عوض ، والدليل الثالث ما روى البخاري عن ابن عباس " أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس اتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ثابت بن قيس لا اعيب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام . فقال رسول الله ، أ تردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . فقال : أقبل الحديقة وطلقها تطليقة " وفي رواية قالت : إني لا أطيقه بغضاً ، فجعل لها النبي فرجاً ومخرجاً مما وقعت فيه من البغض الشديدالذي سبب الشقاق وتعذر معه الوفاق فما بالك بالقضاة الذين يحكمون على مثل هذه المرأة بهجرانها وقطع النفقة عنها كل السنين الطويلة مع أن الله سبحانه قد جعل لها مخرجاً مما وقعت فيه ، ( فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ) .

وفي نفس هذا المقام وما يقتضيه من الاحكام فانني اذكر الناس فضيلة العدل وحسن ما يترتب عليه من صلاح الاهل والمال والعيال ، فان العدل قوام الدنيا والدين وصلاح المخلوقين وهو الالف والمألوف المؤمن من كل مخوف به تتألف القلوب وتلتئم الشعوب ، ويشملهم الصلاح وأسباب النجاح والفلاح فقد رأينا اناساً من أهل الصلاح والتقى يتزوج أحدهم باثنتين وثلاث ويتمتع بهن متاعاً حسناً في عيشة راضية مرضية وأخلاق كريمة زكية بدون تنكيد ولا تكدير ، وذلك كله من بركة العدل وحسن الخلق ، وعلى اثره ينشأ الاولاد متحابين متجانسين متوانسين كأنهم بنو أب وأم واحدة والعدل يمن والجنف والجور شؤم .

ان من مساوئ عدم العدل في القسم او النفقة وقوع الضجر عليه من كثرة التشكي والمطالبة بالحقوق مما عسى ان يضجره كثرة هذا القلق والشقاق والاضطراب سيما اذا كان ضيق الصدر سيء الخلق ، فيوقع الطلاق على زوجته ام اولاده وبناته على اثر المشاجرة فيكون طلاقه بمثابة الصاعقة النازلة عليها في بيتها فينهدم البيت ويتفرق شمل العيال فيندم حيث لا ينفعه الندم كما قيل :

ندمت وما تغني الندامة بعد ما خرجن ثلاثاً ما لهن رجيع

ثلاث يحرمن الحلال على الفتى ويصد عن شمل الدار وهو جميع

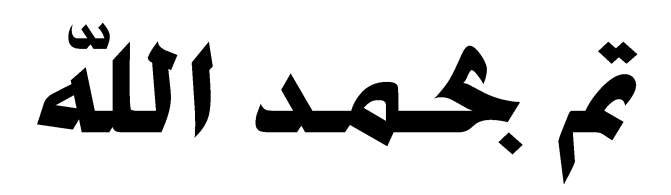
فتخرج من بيته ودمعها يسيل على خدها حزينة على فراق زوجها وعلى فراق عيالها وانه لا اسوأ من حالة ام العيال متى خرجت وليس لها من تأوي اليه ولا من يصبر على عيالها من اهلها فيشتد حزنها واسفها سيما متى علمت ان زوجته الجديدة تعامل عيالها بالسوء وخشونة التربية من الطرد والتقريع وسوء المعيشة .

اننا بتولينا للقضاء كل السنين الطويلة قد عرفنا من حالة الناس ما لا يعرفه من لا يبتلي بالقضاء .

لقد عرفنا ان القاضي الشرعي يكلف الزواج بالنفقة على مطلقته ان كانت حاملا حتى تضع حملها ثم ينفق نفقة الرضاع لقول الله تعالى : ( وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ) فينفق عليها وعلى عياله منها ما داموا في حضانتها لاعتبار أنها لهم بمثابة الخادم لاصلاح امرهم وحسن تربيتهم .

وكل ما اوجب الانفاق يوجب السكنى فهو وان كلفته المحكمة الشرعية بأن تحكم عليه بذلك طبق ما أوجبه الله عليه في قوله : ( وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ) لكن اكثر الناس من اجل عدم العدل والانصاف لا يستجيبون لهذا الحكم ولا ينقادون لتسليم ما وجب عليهم الا مكرهين وأكثر الناس وان تسموا بأنهم مسلمون لكنهم لا ينصفون من انفسهم وحتى بعض العلماء وبعض القضاة رأينا احدهم يهمل عياله مع كثرتهم عند امهم ويقطع نفقتهم عنها ويتركها تقاسي مرارة اكدارهم بدون نفقة ولا اهتمام بامرهم .

ويستثنى من ذلك ذوو الشرف واليسار ومن لهم حظ ونصيب من الكرم والاخلاق فانهم قد ينفقون النفقات الكثيرة على مطلقاتهم واولادهم اتباعاً لاداء ما وجب عليهم وزيادة في الفضل وهؤلاء يندر وجودهم وهذا كله يعود الى التخلق بمحاسن الاخلاق ، لان الله سبحانه فاوت بين الخلق في الاخلاق كما فاوت بينهم في الارزاق ومن الدعاء المأثور : اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لاحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عن سيئها الا أنت والله اعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



# فهرس